

2- كنا بخير لولا أحدهم..

"لكل اللي اتوجع ومتحملش.. أهديكم تلك السطور"

ندى سعد

أنا نسيم تخرجت حديثا في كلية التمريض أحببت التخصص بمجال التمريض النفسي، أحببت علم النفس كثيرا لكن طوال فترة دراستي لم أر بعيني تلك الأمراض عن كثب، فقط قرأت الكثير وسمعت الأكثر وحررتي الجميع من ذلك القسم الذي قد يؤثر عليّ بالسلب، ولكني لم أستمع لذلك.

اليوم هو الأول لي بالمصحة النفسية.. ويرغم ما اعتراني من حماس.. إلا أن الخوف نجح بدق أبواب قلبي، لكنني دخلت بابتسامة واسعة متفائلة لما سوف يحدث.. ونتيجة لتفوق قاموا بإعطائي حق الاختيار أن أبدأ ما بين قسمي الرجال والنساء، فاخترت النساء ظنًا مني أنه أهدأ، لكن ظني اختفي بمجرد رؤيتي للابتسامة السمجة التي ارتسمت على شفتي مدير المستشفى الذي أكد لي أن الرجال أفضل، حدثت نفسي بأنه منحا زلبي جنسه وأكملت قراري.

دلفت إلى القسم لأبدأ بممارسة مهامى بحماس شديد لمحت بعيني عبارة قد كتبت أعلى سرير إحدى المريضات

"كنا بخير لولا أحدهم"

لم أعرفها أي اهتمام سوى ابتسامة ساخرة، فكيف للآخرين أن يتحكموا بمصائرنا.. يا له من غياب!

التقيت بأول مريضة بالقسم والتي بدا عليها الهدوء واللطف.. فاقتربت منها راسمة ابتسامتي فالتفتت إليّ لتبادلني الابتسامة.. قبل أن أتحدث قائلة:

- أزيك يا سلمى

ردت بطريقة طفولية للغاية بالرغم من أنها قد تجاوزت الستين من عمرها قائلة:

- الحمد لله يا دكتورة

- أنا مش دكتورة أنا المريضة بتاعتك يا سلمى عاملة أيه النهاردة؟

- كويسة أنتي اسمك أيه بقي؟

- أنا نسيم

اتسعت ابتسامتها وبدأت تغني بصوت عالي قائلة:

- نسيم يا نسيم يا أم شعريطير يا نسيم

تجاهلت طريقتهما الطفولية، فلا بد أن أشعرها بطبيعة تصرفها هكذا تعلمت ونفذت ما تعلمته، قاطعت غناءها بقولي:

. أنتي بقالك قد أيه هنا يا سلمى؟!!

- بقالي 3 أيام بس

عقدت حاجبي ذهولاً من ردها.. ثلاثة أيام!!.. سلمى هنا منذ كان عمرها 22 عاما أكثر من أربعين عاما قد تحولت فجأة لثلاثة أيام؟! أيعقل أن تنسى عمرها الذي فقدته بين تلك الأسوار الحديدية، لكن ما الذي ألقى بها بين طيات تلك الأسوار؟!.. يجب أن أعلم كل شيء.

لم يمهلني الوقت لاستكمال حديثي معها، فانطلق صوت الجرس بالمصحة معلناً عن ميعاد تناول الطعام.. فهروئت "سلمى" ممسكة بدميتها كالأطفال والفرحة تعترتها.

بدأت بالتجول بين جنبات المستشفى، المشفى بنظري سجن كبير به حديقة واسعة يوجد بها مرمى لكرة القدم، ينقسم المشفى بين مبني

صغير خاص بالمدمنين وقسمين للرجال رجال أ ورجال ب وكذلك حريم أ
وحريم ب

وبينما كنت غارقة بأفكاري إذا بصوت صريخ شديد وأحد أفراد
التمريض يعلو صوته مستغيثاً قائلاً:

- قمر سرقت السكين

عدوت لأرى ماذا هنالك لأجد القسم في حالة من الهلع وجميع من في
القسم ممسكون بقمر والدم يسيل على الأرض من يدها اليسرى،
والصراخ يدوي بأركان المشفى، انتابتها نوبة صرع شديدة فسرت
السكين وقطعت أحد أصابعها، قمنا بالإمساك بها وللأسف لجأنا إلى
جلسة الكهرباء المؤذية.

- شغلوا على 8 أمبير

- شغلوا على 9 أمبير

كان صراخها يزداد كلما زادت قوة الكهرباء قدمها ترتفع لأعلى وتجز
على أسنانها بقوة لولا العازل المطاط الذي وضعناه بقمها لكانت اجتزت
لسانها.

- اظفي الجهاز نيموها في الأوضة ولفوا أيديها بشاش وغيرونها علي

الجرح

قالها الطبيب وهو يخرج من الغرفة ببرود المشاعر ولا مبالاة وكأنه
انتهى من ري زهور الحديقة لتوه، أي تري ذلك لتعوده علي تلك
المشاهد؟ وهل سأتحول في يوم من الأيام إلى بلادة المشاعر تلك؟ لا
أعلم...

قمر تلك الفتاة ذات الوجه الملائكي والجمال الفتان ها هي تقطع من
جسدها جزءاً بمحض إرادتها.. يا لذلك الزمان، لا أصدق أن وجهًا مثل

ذلك القمر النائم أمامي الآن.. كان منذ قليل رافضاً لذاته، لجماله،
رافضاً حتى لأجزاء جسده.

انتهى يومي الأول المليء بالأحداث يا له من يوم، اهتزازاتي معلناً عن
ورود مكالمة.. إنه سمير حبيب قلبي وروحي يعمل ضابط بالشرطة..
فأجبت على اتصاله بلهفة:

- ألو أيوة يا حبيبي

- أيوة يا روحي فينك أيه الشغل خلاص خدك مني

- مقدرش أبدا بس كان يوم متعب أوي سامحني

- أسامحك أيه يا عبيطة ده أنتي حبيبتي قومي البسي عشان أخرجك
يلا من زمان مخرجناش أنا كلمت باباكي وقال ماشي

- بجد أنت أجمل راجل في الدنيا يا سمير بحبك

"مالك يا نسيم حاسك زعلانة؟"

هكذا تساءل ليقطع شرودي وأنا جالسة بجواره.. فهمت برسم
ابتسامة على شفتي قبل أن أجيب:-

- مفيش بس مضايقة من اللي حكيتولك على الحالات في المستشفى.

مد يده مداعباً خصلات شعري.. فهو يعلم أنني أعشق تلك الفعلة
التي تحولني إلى طفلة قبل أن يتحدث بصوته الأجرس الذي أعشقه قائلاً:-

- نسمتي أقوي من كده، عايزك متعامليش مع الأمور بحساسية زيادة

- أنا زعلانة عليهم إزاي يسيبوا أنفسهم بالضعف ده أنهم ميقفوش
ويقدروا يكملوا أيه يعني أن نفقد حد اه الموضوع مؤلم لكن المفروض
فترة وتعدي

- طب سيبك من كل ده اضحكي بقي عشان خاطر حمص

- حمص مين؟!!!

- ابننا أنتي نسيتي حمص ده أنا خلاص اشتريت الأوكربتاعت الأبواب
ايנعم أنا لسه مركبتش الأبواب بس أهم حاجة الأوكر أصل أنا بعشق
الأماكن المغلقة

انطلقت ضحكاتي بين جنبات سيارته، فأنا أفهم ما يقصده تماما..
قبل أن أتحدث قائلة:-

- يخربيت قلة أدبك.. قسم الآداب بوظ أخلاقك

- يابوي عالضحكة يا جدعان بما أن أنك ضحكتي وإحنا مخطوبين
وكاتبين كتاب وكده

- أيوة يعني عايز أيه لا يا حبيبي أنا أشرف من الشرف

- ده أنتي أشرف نفسه ليه نيتك وحشة أنتي مخك أخ منك أنتي أخ أنا
قصدي أجبلك آيس كريم

توجهت إلى المشفى باليوم التالي، أول من رأيت كانت عزيزة تلك المرأة
التي تهمر من فمها أبشع الألفاظ لمجرد أن أقول لها صباح الخير فقط،
لا اعلم لماذا حتى الآن؟!.. لكن تشخصيها فصام في الشخصية معظم
حالات المستشفى لها نفس التشخيص لكن لكل تشخيص حكاية قررت
الابتعاد الآن عن عزيزة والاقتراب منها في وقت آخر تكون جفت تلك
الكلمات البذيئة من حلقها، انتقلت لغرفة العزل لأجد قمر المسكينة
مستلقية علي السرير مرتدية ذلك القميص المعكوس.. إحساس شديد
الصعوبة أن تتخيل أنك مقيد بتلك الطريقة الحيوانية للحظة وليس
لأيام.. اقتربت منها متأملة ملامح الفزع بعينها، فربت على كتفها في
محاولة مني لبث الطمأنينة بروحها.. وبدأت الحديث:-

- قمر أزيك النهاردة

- أنا كويسة بصي أنا مش هعمل كده تاني بس متحروقنيش تاني
والنبي

- إحنا محرقنكيش يا قمر بس أني كانت أعصابك تعبانة وعملنا ليكي
جلسة كهرباء بسيطة

- لا الكهرباء دي بتحرقني ربنا يخليكي والنبي متحروقنيش تاني

- طب بس بشرط تحكي لي عملي كده ليه امبارح

زاغت عينها يميناً ويساراً وكأنها تتأكد من خلو غرفة الحجز قبل أن
تبدأ بالكلام بصوت هامس:-

- هقولك ومتقوليش لحد ها ده سر أصل الصباغ ده كان في مرض
أسود وكان عايز يموتني قمت قطعته عشان مموتش أنتوا ودتوه فين
أوعي يموتك أني كمان ده عايز يموت أي حد

- متقلقش يا قمر هو مش هيموتك بس أوعديني لو حسيتي أي حاجة
في جسمك عيانة وشايفة أنها هتموتك، متقطعهاش قوليلي وأنا ادليك
علاج

- حاضر يا مس نسيم هتطلعوني من الأوضة امتي

- كل ما كنتي هادية كل ما طلعتي أسرع سلام يا قمر

تجولت في أنحاء القسم لأجد نادبة تنظر إلي الحائط وتضحك بقوة،
واضح أنه هوس وهلاوس سمعية وبصرية ذهبت لأجلس بجانبها وأبدأ
بالحديث معها:-

- أزيك يا نادبة

نظرت إلي بغضب قبل أن تتحدث بنبرة العتاب قائلة:-

- اسكتي.. مش شايفاني بكلمه

- بتكلمي مين؟

- بكلم عبده.. بقوله ميعملش نار عشان منموتش اسكتي بقا بكلم

معاه

أعادت نظراتها إلى الحائط من جديد وبدأت بالحديث بفرع كبير

قائلة:-

- بقولك أيه يا عبده أنا طيبة معاك عايز تموتنا ليه طب أقولك موت

عزيزة أصلها سموية مبتحبش حد لكن بلاش نار بلاش يا عبده

كنت أراقبها عن كثب كانت بالفعل تضحك منذ ثانية وبدت عليها

فجأة علامات الفرع والخوف كأنها بالفعل تحترق بنار عبده

- نادية مين عبده وعملك أيه؟.. احكي لي متخافيش.

خفضت رأسها إلى الأسفل وتهدت وتهيدة وكأنها عبرت بها الزمان، قبل

أن تلتفت إليّ لأرى تلك الدموع المحتبسة تتلألأ بعينها.. ليخرج صوتها

الواهن لتتحدث قائلة:-

- كان حياتي كلها.. فضلت أحبه 5 سنين كان جارنا كنت بقف في عز

التلج عشان بس ألمحه يوم.. وبعد فترة جه وخطبني كان قلبي بيرقص من

الفرحة واتجوزنا

- أو مال أيه اللي حصل؟

- حصل أن الداء اللي عند كل الرجالة كنت عند أمي ورجعت بدري

لقبته في السرير مع أختي الوحيدة محستش غير وأنا بجري علي المطبخ

أجيب السكينة وحطتها جوه قلبه

حاولت تهدئة خوفها ولكنني لم أستطع، فذهبت لمتابعة نشاط يومي

وعقلي يدور بالتفكير أيعقل أن يخونني سمير مثلما فعل ذلك العبده

بنادية، لكن سمير يحبني.. فيصرخ عقلي.. وما الفارق؟؟ ظللت أحارب تلك الوسواس حتى طردتها من عقلي.. طردت تلك الوسواس من عقلي وذهبت لأكمل عملي حتى انتهاء اليوم.

ذهبت إلى المنزل متعبة وقعت عيني على إحدى السلوك العارية بحائط المنزل.. لا أعلم لم قفزت أحاديث قمر لي عن ألم الكهرباء.. خانني إحساسي بالفضول.. فلم أشعر بنفسي إلا ويدي ممتدة إلى ذلك السلك والكهرباء تسري بجسدي حتى أسدل الظلام ستائره على عيني.

- الحمد لله يا مدام هي بخير أغمي عليها بس من خضة الألم
- طيب شكرا يا دكتور، نسيم حبيبي.. فوقي ما تخضنيش عليك أكثر من كده.

سمعت ذلك الحوار من على بُعد وبدأت أشعر بأصابع أمي تداعب خصلات شعري.. ففتحت عيني لأجد نفسي بغرفة مشفى.. نظرت إلى أمي متسائلة:-

- في أيه هو أيه اللي حصل ؟

- مفيش يا حبيبي أنا دخلت لاقيتك وقعة في الأرض جنب كوبس الكهربا.

- أيوة أصل كنت بشبك الفيشة واتكهربت بس متقلقيش عليا يا ماما طرقات على باب الغرفة قطعت حديتي مع والدتي، قبل أن استمع إلى صوت سمير متسائلاً بطريقته الممازحة:-

- ممكن ادخل؟

- اتفضل يا سمير

هكذا أجابت والدتي ليلج سمير الغرفة مقترئًا مني تملأ عينيه نظرات الحنان قبل أن يتحدث قائلاً:-

- عاملة أئه دلوقتي؟ خضتيني عليكي

هبت أمني من مكانها قبل أن تبرر خروجها من الغرفة بأن والدي بحاجة إليها، وبمجرد خروجها جلس سمير على طرف فراشي مصففاً خصلات شعري بيديه قبل أن يتساءل:-

- ها يا قلبي عامله أئه دلوقتي؟

- الحمد لله بقيت أحسن لما شوفتك

لا أعلم لمَ قفزت قصة "نادية وعبده" إلى ذهني.. فنظرت إلى سمير والخوف يعتريني قبل أن أتساءل بصوت أوشك على البكاء:-

- سمير أنت ممكن تخوني؟

- لا طبعا أنتي مجنونة أئه الهبل وأئه اللي خلاكي تفكري كده

- مفيش بس جت علي بالي.. طب أوعدي أن عمرك كله هتفضل تحبني وعمرك ما هتخوني

- اوعدك عمري ما هخونك إنما قوليلي أنتي أحلويتي أوي كده ليه ولا اكمئك عيانة

- أنا حلوة علي طول أنت اللي مبتاخدش بالك

- احم مباحدش بالي برده؟!.. طب بقولك؟

- انطلق صوت والدتي وهي تنادي على سمير قائلة:-

- يا سمير اطلع يا حبيبي اقعد بره مع ابو نسيم عايزك

ارتسمت ملامح خيبة الأمل على وجهه فهم بالرد عليها بصوت متحسر قائلاً:-

- جت في الوقت الغلط حماتي، أبووااا أنا جاي أهويا عمي.

ضحكتُ على ردة فعل ذلك المجنون الذي أعشقه. أعلم أنه يحبني..
ويحاول جعلني مبتسمة في كل الأوقات ما أجمل أن تجدي من تحبي
بجانبك دائما.

بعد يومين إجازة من العمل ذهبت وعندي حنين كبير ممزوج باشتياق
لمرضى القسم وحكايتهم المليئة بالحزن والألم. بدأت بالمرور بين
المريضات.. فعزيزة ذات الألفاظ البديئة لا زالت على حالها، وتلك الطفلة
الراقدة بجسد المرأة العجوز "سلمى" لا زالت تلهو بدميتها.. ولا زالت
نادية تعاتب السراب أو بمعنى أصح عبده.. قبل أن تتعالى الأصوات
الصارخة داخل القسم.. فركضت تجاه الصوت متسائلة:-

- في أيه؟

- قمر في حالة هياج ودكتور رفعت نقلها أوضة الصدمة عشان جلسة
الكهربا

هكذا جاني الرد. لم ألتفت حتى لأرى ملامح قائله بل ركضت بكل
قوتي تجاه غرفة الكهرباء حتى اقتحمتها وأنا أصرخ متوسلة:-

- يا دكتور رفعت ممكن ندي لها حقنة مهدئه في حاجات تانية غير
الصدمة بالكهرباء.

- أنتي مش شايفة حالتها وبعدين أنتي عشان جاية من كلية هتعليميني
شغلي يلاهاتوا الجهاز

لم أشعر بشيء إلا وجهاز الصدمة ملقي على الأرض مكسر إلى مائة
قطعة وأنا أصرخ:-

- اللي هيقرب لقمر هكسر دماغه

نظر إليّ الجميع بذهول، قبل أن يتحدث دكتور رفعت بلهجة محذرة قائلاً:-

- أنتي اتجننتي أنتي عارفة أنتي عملتي أيه؟

- أيوه منعت جريمة أنها تحصل

- أنا هعرف شغلي معاكي هيبقي إزاي

كان صراخه وكلماته لا تهمني بقدر اهتمامي وانتباهي لعيني قمر الشاكرة لي، الغريب أن حالتها هدئت تماما بمجرد تحطيم ذلك الجهاز

خرجت أنا وقمر من تلك الغرفة اللعينة كادت عيون كل من في القسم من مرضى تصفق لي شكراً على إنقاذ قمر.. ومن بينهم وقفت هي عزيزة الراضة للكلام مع أي من الممرضات أو حتى الأطباء.. وقفت هي الأخرى والسعادة تغمر عينها، فوجدت أن ذلك الوقت هو المناسب لتحديثي مع عزيزة لأنني أيقنت طردي من المصححة وأردت بشدة معرفة قصتها.. فافتريت منها ببطء وهي تراقبني، وللمرة الأولى لم تندفع الألفاظ البذيئة من لسانها بل فقط صمتت.. حتى بدأت الحديث:-

- عامله أيه يا عزيزة؟

- كويسة يا اختي

لقد تحدثت؟!.. لم تسب ولم تلعن!!.. حاولت قدر الإمكان التحكم بملامح وجهي قبل أن استكمل حديثي:-

- عزيزة احكي لي حكايتك؟

- عارفة لولا أنك نجدتي البت قمر مكنتش كلمتك أبدا

تهددت وغيرت وضعية جلوسها لتربع قدميها وتبدأ بسرد حكايتها:-

- أنا مش هبلة عشان تكوني فهمه أنا بس معدتش قادرة أعيش مع

الناس اللي بره كلمهم أوس.....

- عزيزة من غير شتيمة كملّي

- أنا وحدة شمال أو بقيت شمال.. كل ذنبي أني حبيت رجب مشيت وراه يمين يمين شمال هيبّي شمال قالي هتجوزك عشمي وخلي بيا اترجيته يتجوزني ويستر عليا رقصني برجله وقالي لا، وفي يوم أخذني شقة لاقيت فيها كل اللي ممكن تتخيليه من حشيش لنسوان على رجاله عرفت أنه قواد درجة أولى لما مرضيتش ابقى من حريمه هددني أنه مصورني وأنا معاه وهينزلها عل النت رضيت واشتغلت يوم في يوم اتعودت لحد ما في يوم لقيته هو نفسه شغال الشغلانة بتاعتي في الشقة لا وأيه احسن مني كمان مع رجالة قرفت منه ومن نفسي ومن كله واجهته ضحك ولا همه أصر عليا وغصبني محسّتش بنفسي غير وإزاة الخمرة فوق دماغه سايحة بالدم ساعتها بس استريحت.. ها ارتحتي لما حكيتلك عرفتي أن كلهم أوس... ولا بلاش

كنت استمع لقصتها وأنا انظر لتلك العبارة المكتوبة على الحائط "كنا بخير لولا أحدهم".. هل من الممكن أن نتأذى لهذه الدرجة؟!.. هل من الممكن أن يحولنا أحدهم من تمام العقل إلى نزيل بمصحة نفسي؟

- نسيم المدير عايزك

قطعت تلك الجملة حديثي مع عزيزة أو بالأحرى قطعت حديثي مع نفسي، توجهت إلى مكتب المدير وأنا على علم بما سيحدث.. ولجت إلى غرفة مكتبه فصاح بي قائلاً:-

- أنتي شغلتك هنا أيه؟

- يا دكتور افهمني بس

- أفهم ليه كسرتي الجهاز؟ أنتي هتدفعي تلفيات اللي حصل ومن النهاردة أنتي منقولة لقسم الرجال

ذهبت إلى قسم الرجال تنفيذًا لأوامر المدير المتعجرف الذي حتى لم يكلف خاطره أن يستمع لما سأقوله ذهبت إلى قسم رجال "ب". لم أكن أريد مغادرة قسم النساء فلا زالت هناك من الحكايات ما أردت معرفته أردت أن استكمل حديثي مع "نادية".. هل كان يحبها زوجها الخائن مثلما يحبني سمير؟!

كان قسم الرجال مثلما قال لي مدير المشفي في بداية الأمر هادنا لا يشبه قسم النساء نهائيا فيما يبدو أن المغني أبو الليف كان له نظرة مستقبلية عندما قام بغناء دولا مجانيين.. كان المكان يشبه الدائرة الكبيرة وفتحات في السقف تسمح بالتهوية ودخول الشمس ولكن السقف شاهق جدًا تجنبًا لهروب أحدهم والغرف عبارة عن أربع غرف كبيرة وحمام واحد!!

بدأت في أول أيامي في قسم الرجال اتفحصهم جيدا، هم ليسوا كقسم النساء بتاتا أنهم قليلو الكلام يلتمون السجائر والشاي كالجوعى.. هناك من هو صامت طوال الوقت لا يفعل أي شيء سوى الاستدارة حول أحد الأعمدة دون أن تؤلمه ساقه أو يشعر بدوار.. يعاني حالة اكتئاب شديدة وفرط حركة وليس معروف سبب ذلك أهله تركوه هنا وذهبوا وليس هناك سبب معروف، حاولت كثيرا التحدث معه ولكن كان الصمت رده.. فقررت أن أجلب له شيكولاتة.. فمن المعروف عن مرضى الاكتئاب عشقهم لها ولذلك الفتيات هن أكثر من يعشقها.. اقتربت منه وبدأت بالتحدث:-

- كريم أزيك؟!

وكالعادة جاء الصمت رده.. فأمسكت بالحلوى التي اشتريتها من أجله.. وتابعت حديثي:-

- طب بص جببتك شيكولاتة

- أزيك يا نسيم

- الحمد لله مقولتليش يعني أن أنت جاي

- أقولك ازاي وانتي مبتريديش عليا طول النهار

- أسفة يا سمير بس كان عندي شغل كتير ومعرفتش اكلمك

ابتسم ساخرًا قبل أن يقول:-

- معرفتيش اه.. مش ملاحظة أنك من ساعة ما اتعينتي وأنا بقيت
آخر اهتماماتك.. حياتك في الشغل ودماعك في المرضى بتوعك وناسيني
وناسية كل حاجة ده منظر عروسة فرحها كمان شهر أنتي مبتجهزيش ولا
بتعملي حاجة كل أما أقولك علي رأيك في حاجة أو تعالي نشوف سوا
تتحججي وتقولي مش فاضية

- أنت مش شايف أنك مكبر الموضوع شوية أيوة كنت مشغولة شوية
بس أنت لو بتحبني تحب دراستي وتشجعني أحقق كيان وكريير

- أمر واقع بقى هو لإما تعامليني بالطريقة دي وأسكت يأما لو اتكلمت
ابقي وحش وديكتاتور وبلغني كيانك وشخصيتك صح.

للمرة الأولى تحولت أحاديثنا إلى صباح.. فنهضت من مقعدي لأتحدث
غاضبة:-

- أنا شايفة أنك متعصب وشايفة أن إحنا نأجل الفرح شوية

- نعم نأجل الفرح اللي بقالنا سنتين مخطوبين و 3 شهور مكتوب
كتابنا وأنا بفحت نفسي شغل وبطلع مأموريات ومبغدش أجازات غير كل
فين وفين عشان اخلص البيت على الميعاد عشان سيادتك مش فاضية
أقولك نأجله خالص

ذهب وصوت الباب يدوي من أثر يديه.. بكيت كثيرًا.. أمي وأبي صرخا
علي بأنني المخطئة لا أحد يفهمني لا أحد..

ذهبت للمشفى وأنا بمزاج سيئ لم يتصل بي سمير أنا أيضا لم أحاول، قررت أن انغمس في المرضى وحكايتهم لم تتوه عن بالي لحظة حكايات قسم النساء.. فأدركت وقتها أنني وقعت بفتح التعلق المرضي الذي طالما حذروني منه طيلة دراستي، أما عن سمير فأنا مدركة أنني المخبطة فبكيت مرارا وكثيرا، ولكن لم يفهمي سمير هذه المرة؟ أنا كنت خائفة من فكرة الزواج وتكوين عائلة وازددت رعبا عندما عملت بالمشفى ورأيت ما تفعله العلاقات من ألم ووجع خائفة من كل شيء حاولت أن التفت لعملي حتى وجدت من يقول لي بصوت خشن:-

- أنا عايز سجايريا أبله ربنا يخليكي

أنا مش معايا وبعدين أنت خلصت حصتك من السجايير النهاردة كلها.. أنت حد معصبك

- بصراحة بقي ايوة جمال اتشاكل معايا عشان أخذت منه سيجارة وكان هيضربني

- هوفين جمال ده؟

- أهو هناك اللي قاعد لوحده ده

- طب تعالا معايا وأنا أصالحكوا على بعض

- ما بلاش أنني

- اشمعنا!

- ها لا مفيش ماشي.

توجهت إلى ذلك الخمسيني الجالس بمفرده دائنًا وأنا أرى الذهول المختلط بالتحذير بأعين باقي المرضى.. ولكنني بدأت بالحديث:-

- أزيك يا جمال؟

تصاعدت أنفاسه تدريجيًا وهو ينظر لي بأعين جاحظة تحمل كل ما يدل على الكراهية قبل أن يصيح بي:-

- متكلميش معايا وأبعدي عني مبكلمش حريم أنا

- ليه يا جمال؟

- أنتوا كللكوا زي بعض خاينين وكدايين بتخدعونا بصوتكم الناعم وجمالكم الكاذب كللكوا خاينين ومتستهلوش تعيشوا

كان يصرخ وعيناه مليئة بالدموع تأثرت جدا به واعتصر قلبي حزنًا لأجله فقررت سؤاله ليحكى ما بداخله وكانت الإجابة مفاجئة:-

- عايزة تعرفي ليه كللكوا خاينين عشان هي كانت خاينة كانت عامله زي السم في العسل من برا شكله وطعمه حلو ومن جواه يقتلك من غير صوت كنت بطفح الكوتة عشان أجبلها طلباتها اللي مش بتخلص كنت ببوس التراب اللي بتمشي عليه كنت بحبها بحبها أووي مكنش فيه طلب أقدر أرفضه لها حتى أهلي وصحابي قالتلي أبعد عنهم وبعدت عشان خاطرها كان جزاتي أيه غير وأنا مسافر سمعت خبر وفاة أمي اللي مبسألش عليها رجعت من السفر فجأة عشان أخذها وأروح العزا ملحقتش حتى دفنة أمي عشان الأقيها نايمة في حضن واحد علي سريري فضلت واقف قدامها مش عارف اتحرك لحد ما اللي كان معاها هرب أول ما قدرت استوعب أنها فعلا بتخوني ما حستش غير ومصارينها في أيدي أيوة قتلتها ولو صحيت تاني هقتلها تاني وتالت وعاشر خاينة..

قالها وهرول بعيدا عني تأملت لألمه كثيرا لينتهي يوم آخر وتدهور صحتي أكثر.

ذهبت إلى البيت لأجد هاتفي يرن أنه سمير أجبت بسرعة وقبل أن يتكلم قولت له:-

- سمير أنا أسفة أنا بحبك والله أنا بس خايفة خايفة أووي من اللي
جاي سامحني أوعي تسبيني يا سمير أنا مقدرش أعيش من غيرك والله
وسيبك من أي حاجة قولتها

- طب بس خلاص متعيطيش أنا أسف أني سيبتك تخافي متخافيش
أنا جنبك وعمري ما هسيبك اطمني أنا بحبك أنتي بنتي يا عبيطة قبل
ماتكوني حبيبتي ومراتي حد يزعل من بنته طب اجبلك شاورما..

- اه بص

- بصيت أهو.. آيه ده أنتي حلوة أوي

- حاكم قعدتك في بوليس الآداب دي بوظتك خالص بس بقي بجد
بص هاتلي واحد شاورما لحمة وواحد فراخ ومتنساش المخلل اه وهات
آيس كريم بالمرة وبببسي دايت

- بببسي دايت مش شايف أنه ليه علاقة بالمدعكة اللي أنتي طلباها
دي بس ماشي

- الله ما أنت عارف أني وأنا زعلانة بأكل كتير

- أهم حاجة الفرح في ميعاده مش فاضل غير أسبوعين يكون في
علمك أنا اشتريت الأبواب وركبت الاوكرهااا

- متتأخرش عشان جعانة.

توالت الأيام كنت أذهب للمستشفى كل يوم وبعد انتهاء العمل أحضر
لوازم الزفاف واختيار ما تبقى من أشياء.. ولا زالت أسرار المرضى تؤكد
تلك العبارة "كنا بخير.. لولا أحدهم".. تتوالى الأسرار التي تخلف بفؤادي
حزناً.. غلب على شعور عروس لا يفصل عن زوجها سوى يومين!

أنهيت عملي بذلك اليوم وحصلت على أجازة الزواج.. وذهبت لاقتناء
باقي لوازم الزفاف:-

- ألو أيوه يا ماما خلاص جبت الستايراه نفس الألوان اللي اختارناها
ودفعت باقي الفلوس خلاص بقي يا ماما هطلع أودهم الشقة وارجع
البيت

كنت حاسة بفرحة وأنا طالعة شقتي أنا وسمير حبيبي كنت خايفة من
الجواز والمسئولية بس كنت فرحانة شعور ميتوصفش

اخبط ولا اعملها ليه مفاجأة لا هعملها له مفاجأة

قمت بفتح الباب ببطء شديد وتركته مفتوح وضعت الستائر على
الأريكة أخذت ابحث عنه بعيني في الشقة حتى سمعت صوت يأتي من
غرفة النوم

- أنت قفلت الباب ليه الدنيا حر

- أصل أنا بعشق الأماكن المغلقة تعالي بس هقولك

وقفت أمام الباب مذهولة استجمعت قوتي لأفتح الباب.. لينتفض
هو وتلك العاهرة:

- نسيم أنتي بتعملي أيه هنا بصي افهميني هشرحلك الموضوع مش زي
ما أنتي فاهمة

تسمرت عيني على مسدسه الميري.. فلم أعد إلى وعيي إلا بعد ما
أفرغت طلقاته التسعة بجسده ولم أعد أستطيع التحرك سمير ملقى
يغرق في الدماء وتلك الغانية تصرخ والجيران وهم يلتفون حولي.

تم إحالة نسيم إلى مستشفى الأمراض العقلية وفقا لحكم المحكمة
بعد عرضها على الكمسيون الطبي

صديقيني يا مس هاجر أنا لو رجع بيا الزمن هقتله تاني وتالت لأنه
قتلني وجبني هنا.

انصرفت نسيم بعدما استجابت لإلحاحي الدائم عليها.. أخبرتني
بقصتها وسبب تحولها من ممرضة إلى نزيلة بذلك المشفى.. تركتني
وذهبت لتغفو على ذلك السرير وفوق رأسها تلك الجملة التي لم اهتم بها
في الصباح والتي تقول:

"كنا بخير لولا أخدمهم"